

الكشاف

" سبح " ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم . له ملك السماوات والأرض يحي ويميت وهو على كل شيء قدير . هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم . هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم وإنا بما تعملون بصير . له ملك السماوات والأرض وإلى إنا ترجع الأمور . يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور . " جاء في بعض الفواتح " سبح " على لفظ الماضي وفي بعضها على لفظ المضارع وكل واحد منهما معناه : أن من شأن من أسند إليه التسبيح أن يسبحه وذلك هجيره وديدنه وقد عدى هذا الفعل باللام تارة وبنفسه أخرى في قوله تعالى : " وتسبحوه " الفتح : 9 وأصله : التعدي بنفسه لأن معنى سبحته : بعدته عن السوء منقول من سبح إذا ذهب وبعد فاللام لا تخلو إما أن تكون مثل اللام في : نصحته ونصحت له وإما أن يراد بسبح : أحدث التسبيح لأجل إنا ولوجهه خالصا " ما في السماوات والأرض " ما يتأتى منه التسبيح ويصح . فإن قلت : ما محل " يحي " ؟ قلت : يجوز أن لا يكون مرفوعا على : وهو يحيي ويميت ومنصوبا حالا من المجرور في " له " والجار عاما فيها . ومعناه : يحيي النطف والبيض والموتى يوم القيامة ويميت الأحياء " هو الأول " هو القديم الذي كان قبل كل شيء " والآخر " الذي يبقى بعد هلاك كل شيء " والظاهر " بالأدلة الدالة عليه " والباطن " لكونه غير مدرك بالحواس . فإن قلت : فما معنى الواو ؟ قلت الواو الأولى معناها الدلالة على أنه الجامع بين الصفتين الأولية والآخرية والثالثة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء . وأما الوسطى فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأوليين ومجموع الصفتين الآخرين فهو المستمر الموجود في جميع الأوقات الماضية والآتية وهو في جميعها ظاهر وباطن : جامع للظهور بالأدلة والخفاء فلا يدرك بالحواس . وفي هذا حجة على من جوز إدراكه في الآخرة بالحاسة . وقيل : الظاهر العالي على كل شيء الغالب له من ظهر عليه إذا علاه وغلبه . والباطن الذي بطن كل شيء أي علم باطنه : وليس بذاك مع العدول عن الظاهر المفهوم .

" آمنوا بإنا ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير . وما لكم لا تؤمنون بإنا والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين . " " مستخلفين فيه " يعني أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال إنا خلقه وإنشائه لها وإنما مولكم إياها وخولكم إياها وخولكم الاستمتاع بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها فليست هي بأموالكم في الحقيقة . وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء

والنواب فأنفقوا منها في حقوق ا [وليهن عليكم الإنفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره إذا أذن له فيه . أو جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في أيديكم : بتوريثه إياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم إليكم وسينقل منكم إلى من بعدكم ؛ فلا تبخلوا به وانفعوا بالإنفاق منها أنفسكم " لا تؤمنون " حال من معنى الفعل في مالكم كما تقول : مالك قائما بمعنى : ما تصنع قائما أي : وما لكم كافرين با [. والواو في " والرسول يدعوكم " واو الحال فهما حالان متداخلتان . وقرئ : " وما لكم لا تؤمنون با [ورسوله والرسول يدعوكم " والمعنى : وأي عذر لكم في ترك الإيمان والرسول يدعوكم إليه وينبهم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج وقبل ذلك قد أخذ ا [ميثاقكم بالإيمان : حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الأدلة ومكنكم من النظر وأزاح عنكم فإذ لم تبق لكم علة بعد أدلة العقول وتنبيه الرسول فما لكم لا تؤمنون " إن كنتم مؤمنين " لموجب ما ؛ فإن هذا الموجب لا مزيد عليه . وقرئ : " أخذ ميثاقكم " على البناء للفاعل وهو ا [D . " هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن ا [بكم لرؤوف رحيم . " " ليخرجكم " ا [بآياته من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان . أو ليخرجكم الرسول بدعوته " لرؤوف " وقرئ : " لرؤف "